

- قيام الامارة الغزنوية 351-582هـ / 962-1186م

ترجع علاقة المسلمين ببلاد الهند الى العصر الاموي ، حيث استطاع المسلمون تحرير اقليم البنجاب وحوض السند ، وكان اكتساب اقليم السند الصبغة الاسلامية في هذه الفترة مقدمة لظهور امارة مستقلة هي الامارة الغزنوية التي استمرت نحو قرنين وربع قرن من الزمن (351-582هـ) .

وتنسب الدولة الغزنوية الى سبكتكين احد مماليك القائد التركي البتكين ، الذي كان قد ابتاعه من التاجر نصر حاجي ، الذي اشتراه بدوره من احدى القبائل المجاورة التي أسرته في احدى حملاتها على بلاد تركستان .

وانصرف سبكتكين بعد ذلك الى بناء دولة قوية ، فتهيأت له الفرصة في السنة الاولى من توليه الحكم في الاستيلاء على مدينة بست في سجستان ، حين استتجد به حاكما المدعو (طغان) على احد الثائرين الذي استولى على بست وطرده منها ، فسار سبكتكين على رأس جيوشه وتمكن من القضاء على تلك الحركة واعادة طغان الى بلده ، بعد ان تعهد له الاخير بدفع مبلغ من المال نظير مساعدته ، الا ان طغان لم يف بوعده وما ظل في دفع المال ، فنشب القتال بينهما ، وانتهى باستيلاء سبكتكين على بست ، كما اخضع في العام نفسه حاكم مدينة قصدار والزمة بدفع مبلغ من المال وان يذكر اسمه في الخطبة ويضرب على السكة .

توسيع الغزنويون في بلاد الهند في عهد سبكتكين وولده محمود :

استعد سبكتكين بعد عودته الى عزنة لتنفيذ سياسته الرامية الى توسيع رقعة بلاده وتأمين حدود مملكته ، فتوجه شطر اقاليم الهند ، فنجح في الاستيلاء على بعض المواقع الجبلية الحصينة ، فأثار بذلك مخاوف احد ملوك الهند المسمى (جيبال) الذي وجد استيلاء سبكتكين على اطراف بلاده تهديدا خطيرا لمملكته ، فاندلعت الحرب بين الطرفين واستطاع سبكتكين ان ينتزع النصر ويلحق بخصمه هزيمة ساحقة في سنة 369هـ واجبره على طلب الصلح نظير مبلغ (مليون شاهية) وخمسون فيلا وعدد من المدن والقلاع ، وابقى سبكتكين لديه عدد من افراد اسرته رهائن ليضمن عودة الوفد الغزنوي من الهند ، الا ان جيبال نكث العهد ، وقبض على اعضاء الوفد ، وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه لدى سبكتكين ، فلما علم الاخير بذلك اسرع بالمسير نحو الهند ، فهاجم (لمغان) ، واستولى عليها عنوة على

الرغم من حصانتها ، وحطم اصنامها واقام فيها شعائر الاسلام ثم عاد الى غزنة ، اما جيبال فقد اتفق مع عدد من الامراء المجاورين على قتال سبكتكين ، فجهز جيشا كبيرا اتجه به الى غزنة ، فخرج سبكتكين للقائه وأشتبك معه بمعركة عنيفة انتهت بهزيمة جيبال وحلفائه ، وابيد معظم جيشهم ، وأرغم جيبال على عقد الصلح على مال يؤديه ومائتين من الفيلة .

اما في الشرق فقد استطاع سبكتكين ان يوطد مركزه على حساب السامانيين الذين انحسر نفوذهم وانكسرت اراضيهم .

وخلف سبكتكين في حكم الامارة الغزنوية ولده محمود (387-421هـ) الذي امتاز عهده بنشاط حركة الجهاد الاسلامي في الهند ، فغزا هذه البلاد اثني عشرة مرة ، ووصلت حملاته الى هضبة الدكن ، وضم الى مملكته بلاد البنجاب ، كما اخضع بلاد الغور فيما بين غرنة وهرارة ، ومد نفوذه الى بلاد ما وراء النهر ،

وبدا محمود الغزنوي في الفترة ما بين (390-417) بشن عدة حملات على بلاد الهند ، فخرج في سنة 392هـ الى البنجاب وانتصر على ملكهم في السنة المذكورة ، وحصل المسلمون على غنائم كثيرة وأسروا اعدادا كبيرة من سكان الاقليم ، وفي سنة 396هـ استولى السلطان محمود الغزنوي على مدينة الملتان ، ثم تابع تقدمه نحو قلعه كواكير ، التي كانت تضم ستمائة صنم ، فدخلها عنوة واحرق اصنامها ، وكان السلطان ينوي مواصلة تقدمه في الهند الا انه اضطر للعودة الى خراسان بعد ان بلغه اضطراب الاحوال بها ، ويبدو ان الانتصارات السلطان محمود الغزنوي في بلاد الهند قد اثارت الخوف والرعب في قلوب ملوكها فحاولوا توحيد جهودهم وحشد قواتهم لإيقاف الزحف الغزنوي في بلادهم ، فدارت بينهم وبين الغزنويين معارك طاحنة في ربيع الآخر من عام 398هـ على ارض البنجاب ، وكاد الهنود يظفرون بالمسلمين في بادئ الامر ، الا ان محمود ما لبث ان اوقع بهم هزيمة ساحقة.

وتوالى حملات محمود الغزنوي على بلاد الهند ، فقصدها في سنة 400 هـ وحارب الهنود وهزم احد ملوكهم ، ثم صالحه على مال يؤديه ، ثم خرج ثانية في سنة 404 هـ ، وتمكن من الاستيلاء على (ناردين) احد المواقع الحصينة في بلاد الهند ، ثم عاد الى غزنة وارسل

الى الخليفة العباسي القادر بالله يطلب تقليده اقليم خراسان وما بيده من البلدان ، فاجابه الخليفة الى ذلك.

وفي سنة 410 هـ وصلت جيوش السلطان محمود الى باران في شمال الهند ، واخذ الهلع والخوف من نفس (هاردنا) احد ملوك الهند ، فدخل الاسلام مع عشرة الاف من رجاله ، وتوغل محمود في بلاد الهند ، فدخل سومنات في سنة 416 هـ والحق الهزيمة بأمرء الهند الذين حشدوا قواتهم دفاعا عن معبدهم الاكبر ، وكتب السلطان محمود الى الخليفة القادر بالله يخبره بهذا النصر الذي احرزه على ملوك الهند .

واتسعت الامارة الغزنوية بعد هذه السلسلة من الانتصارات التي تحققت على يد السلطان محمود ، واتخذ محمود مدينة (لاهور) مقرا لحكومته بالهند.

النزاع بين الغزنويين والسلاجقة :

كان لتعاظم قوة السلاجقة في بلاد ما وراء النهر مع بدايات القرن الخامس الهجري اثرها السيء في نفوس الغزنويين ، فقد خشى السلطان محمود ان يكونوا شوكة في ظهره تشغله عن مواصلة حروب في بلاد الهند ، ففكر في ابعادهم عن بخاري ، وعبر نهر جيحون في سنة 415 هـ ، الا ان ارسلان بن سلجوق انسحب عنها ، فعمد محمود الى اصطناع الحيلة والدهاء للايقاع بالسلاجقة ، فنجح في القبض على زعيمهم ارسلان وولده قتلمش مع عدد من كبار اصحابه وبعث ارسلان الى بلاد الهند ، حيث امضى في السجن سبع سنوات وتوفي في سنة 422 هـ ،

ولم يمض على هذه الحادثة سوى اربع سنوات ، حتى خرج السلطان محمود لقتال السلاجقة تلبية لنداء سكان مدينتي (نسا) و(باورد) الذين التمسوا منه ابعاد السلاجقة عن بلادهم وحذروه من تعاظم نفوذهم في المنطقة ، فتولى محمود قيادة الجيش بنفسه ، وانزل بالسلاجقة هزيمة نكراء في سنة 419 هـ ،

وظل السلاجقة بعد هذه الهزيمة ينتظرون الفرصة المناسبة للتأثر من الغزنويين ، وتم لهم ذلك بعد وفاة السلطان محمود وقيام ولده مسعود بالسلطنة (421-432 هـ) ، فقد اشتعلت الحرب بينهما من جديد ، وحقق السلاجقة نصرا كبيرا على جيوش السلطان مسعود على الرغم من ضخامتها وكثرة عدتها ، وقد بادر السلاجقة بعد انتصارهم هذا للاتصال بالسلطان

مسعود وعرضوا رغبتهم في الصلح والدخول في طاعته ، فاستجاب لطلبهم ووزع على زعمائهم الولايات ، ومنحهم الخلع والالقب .

الا ان هذا الصلح لم يضع حدا للنزاع بين السلاجقة والغزنويين ، فالواقع ان الغزنويين كانوا يدركون تماما مدى الخطر المحدق بدولتهم من جانب السلاجقة الذين تنامت قوتهم واتسعت رقعة بلادهم واصبحوا يهددون البلاد الغزنوية ويعلمون على أزلتها نهائيا ، فأوعز السلطان مسعود الى عامله في خراسان سنة 429هـ بالخروج لقتال السلاجقة ، فدارت الحرب بين الفريقين على ابواب مدينة سرخس وانتهت بانتصار السلاجقة وهزيمة الجيش الغزنوي .

ويعتبر انتصار السلاجقة في هذه المعركة ايذانا بقيام دولتهم ، فقد اندفعوا بقيادة طغرل بك الى نيسابور ، فدخلها ونادى بنفسه سلطانا على السلاجقة وجلس على عرش مسعود الغزنوي في ذي القعدة من سنة 429هـ ، وكان رد فعل الغزنويين عنيفا ، فهب مسعود مذعورا لدى سماعه نبأ قيام الدولة السلجوقية واعتلاء طغرل بك عرشه في نيسابور ، فاندفع على رأس جيوشه نحو خراسان واشتبك مع السلاجقة في معركة ضارية في موضع يعرف باسم (داندنقان) انتهت بهزيمة الغزنويين في رمضان من سنة 431هـ / 1039م .

ولم يلبث السلطان مسعود ان لقي مصرعه في سنة 432هـ ، واستقر بالحكم من بعده ولده مودود بن مسعود (432-441هـ) ، وبعد معركة داندنقان لم يعد الغزنويون يفكرون في مهاجمة السلاجقة او مناوأتهم ، بعد ان فقدوا معظم جيوشهم ، وخسروا اجزاء كبيرة من اراضيهم امام السلاجقة الذين اصبحوا اكبر قوة في اقليم خراسان ، ولم يكن السلاجقة وحدهم الذين يهددون الدولة الغزنوية فحسب ، بل ان الدولة تلقت ضربات شديدة من خانات التركستان ، وضاعت منها املكها في الشرق ، ولم يلبث الغوريون في بلاد الافغان ان استولوا على املك الغزنويين وحلوا محلهم واتجهوا الى بلاد الهند وقضوا على نفوذ الغزنويين في لاهور . وانتقلت بذلك رعاية الثغر الهندي من يد الغزنويين الى الغوريين .

7- الامارة الخوارزمية 490-628هـ / 1097-1231م

قيام الدولة الخوارزمية وتطورها :

نشأت الدولة الخوارزمية في الاقليم المعروف بإقليم خوارزم. ويرجع نسب ملوك هذه الدولة الى مملوك تركي اسمه انوشنكين كان قد اشتراه احد الامراء السلاجقة من بلاد (غرجستان) المعروفة ببلاد الغور .

وشغل انوشتكين هذا وظيفة (طشت دار) في البلاط السلجوقي ، فأظهر كفاءة اتاحت له التدرج في الوظائف السلجوقية ، فعينهم السلطان ملكشاه بن الب ارسلان (465-485هـ) واليا على اقليم خوارزم في سنة 470هـ ، وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته في سنة 490هـ . وقد عمت الاضطرابات اقليم خوارزم بعد وفاة انوشتكين وقع اختياره السلطان بركياروق بن ملكشاه على قطب الدين محمد بن انوشتكين فعينه واليا على اقليم خوارزم ، ولقبه خوارزم شاه اي ملك خوارزم اواخر سنة 490هـ وكان ذلك هو قيام الدولة الخوارزمية التي اخذت تظهر على مسرح التاريخ تدريجيا ، مع اعلان تبيعتها للسلاجقة، وقد ظل قطب الدين محمد مخلصا للسلطنة السلجوقية حتى وفاته سنة 521هـ.

تطلع الخوارزميون نحو الاستقلال عن السلاجقة:

اسند السلطان سنجر السلجوقي (513-552هـ) حكم اقليم خوارزم الى علاء الدين اتسز بن محمد بن انوشتكين الذي استطاع كسب ثقة السلطان فصحبه في اسفاره وحروبه ، واثبت مقدرته وكفايته عززت من مكانته ، ثم انصرف بعد ذلك الى تثبيت مركزه وتوطيد نفوذه في البلاد استعدادا لتنفيذ سياسته الرامية الى الاستقلال عن الدولة السلجوقية، فبدا بذلك مرحلة جديدة من النزاع بين السلاجقة والخوارزميين .

ولم يجد السلطان سنجر بدا من السير لقتال اتسز ، فدارت معركة عنيفة بين الطرفين في شهر محرم من عام 533هـ بالقرب من (هزار اسب) كان النصر فيها حليف السلاجقة ، الا ان اتسز ما لبث ان عاد الى خوارزم بمساعدة الاهالي ، غير انه خشي من تجدد القتال بينه وبين سنجر فسعى الى مصالحته واسترضائه ، فارسل اليه مؤكدا ولاءه وطاعته له ويتعهد بعدم الخروج عليه مرة اخرى .

غير ان اتسز سرعان ما نقض الصلح وشرع بمهاجمة املاك السلاجقة فاستولى على بخاري في سنة 534هـ/1139م ثم سعى للتحالف مع قبائل الخطأ التركية وحثهم على مهاجمة ممتلكات السلاجقة فشرعوا في مهاجمتها فاضطر السلطان سنجر الى الخروج لقتالهم ودارت بين الفريقين معركة كبيرة قرب سمرقند سنة 536هـ ، خسر فيها السلاجقة عدد كبير من القتلى وهرب سنجر الى بلخ .

واستغل خوارزم شاه هزيمة سنجر امام الخطأ واضمحلال قوته ، فهاجم خراسان واستولى على مدينة (مرو) ثم قصد نيسابور فدخلها وقطع خطبة سنجر ، واستولى على اموال السلطان ونهب خزائنه وعاد الى خوارزم.

ولم يحرك السلطان سنجر ساكنا ازاء تجاوز اتسز واعتدائه على حاضرة ملكه خوفا من تحالفه مع الخطأ ، غير انه صمم على الانتقام في الوقت المناسب، فلما كانت سنة 538هـ خرج سنجر لقتال خوارزم شاه اتسز ، وجرى قتال ، فارسل الى سنجر يطلب العفو ويبذل له الطاعة ، فعفا عنه ، وتعهد اتسز بالتنازل عن كل ما استولى عليه من خراسان خلال انشغال السلطان بحرب الخطأ عام 536هـ، كما تعهد بإعادة الاموال التي استولى عليها. وتهيأت الظروف لخوارزم شاه اتسز ليعلان استقلاله نهائيا عن السلاجقة في سنة 538هـ ، بعد ان اخفق السلطان سنجر في القضاء عليه وصار الخوارزميين بعد هذا التاريخ كيان سياسي مستقل ولم يبق امامهم سوى الحصول على موافقة واعتراف الخليفة العباسي ليكسبوا حكمهم الصفة الشرعية امام رعاياهم وتحقيقا لهذا الهدف بعث خوارزم شاه الى الخليفة المتقي لأمر الله (532-555هـ) رسالة اكد فيها اخلاصه وولاء للخلافة وطلب الى الخليفة ان يوليه خوارزم فلم يتردد الخليفة في اجابة طلبه وبعث اليه بالخلع والتشريفات. اما علاقة خوارزم شاه اتسز بالسلطان السلجوقي سنجر فقد عادت الى التأزم واندلعت الحرب بينهما من جديد في سنة 542هـ ولم يحقق سنجر هدفه في القضاء على الخوارزميين فاضطر الى الاعتراف بخوارزم شاه اتسز حاكما مستقلا عن الدولة السلجوقية .

خلفاء خوارزم شاه اتسز:

خلف خوارم شاه اتسز في حكم الدولة الخوارزمية ولده ايل ارسلان (551-568 هـ) فعمل على تدعيم مركزه ومد نفوذه الى الاقاليم المجاورة ، فتمكن من انتزاع بعض مدن خراسان واقامت له الخطبة فترة من الزمن ، ثم اعيدت للسلطان ارسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه .

ولم يلبث ايل ارسلان بن اتسز ان توفي في سنة 568هـ فتفجر الصراع بين ولديه علاء الدين تكش وسلطان شاه ، وكان قد عهد بالحكم من بعده لولده سلطان شاه ، الا انه اخاه الاكبر تكش ، لم يرض بذلك فجرت بين الاخوين سلسلة من الحروب انتهت بأبعاد سلطان شاه عن خوارزم ورحيله الى خراسان حيث تمكن بمساعدة قبائل الخطأ من الاستيلاء على

مرو وسرخس ونسا وبيورد وظل يحكم هذه المدن حتى وفاته في سنة 589هـ حيث تمكن اخوه تكش من استعادته.

اما خوارزم شاه علاء الدين تكش ، فقد انصرف الى الاهتمام بشؤون دولته بعد ان تخلص من منافسة اخيه سلطان شاه ، فاستغل انقسام السلاجقة على انفسهم وانشغالهم بالحروب والفتن الداخليه وعمل على توسيع رقعه بلاده.

غير ان اتساع املاك الخوارزميين واستيلائهم على ممتلكات الدولة السلجوقية قد ادى الى أثاره النزاع بينهم وبين الخلافة العباسية ، فرفض الناصر لدين الله طلب علاء الدين تكش بإعادة دار السلطنة الى ما كانت عليه زمن السلاجقة ، وابدى عدم استعداد الخلافة لا عادة النفوذ الاجنبي بعد ان تخلصت من السلاجقة .

ثم تطلع علاء الدين تكش الى الاستيلاء على مدينة بخارى ، فقصدتها في عام 594 وسيطر عليها ، وارسل اليه الخليفة الخلع له ولولده قطب الدين محمد وقلده حكم البلاد . توفي علاء الدين تكش في رمضان من سنة 596هـ ، فتسلم مقاليد الحكم في خوارزم ولده قطب الدين محمد وتسمى بعلاء الدين محمد ، وقد تعرضت الدولة الخوارزمية في عهده الى هجوم حكام الدولة الغورية غياث الدين واخيه شهاب الدين الذين تمكنوا من الاستيلاء على عدد من مدن خراسان ، الا ان الغوريين لم يستطيعوا الاحتفاظ بها طويلا بعد وفاة غياث الدين في سنة 599هـ .

وخاض علاء الدين بعد ذلك سلسلة من الحروب ضد الخطا الذين أستأنفوا غاراتهم ضد المسلمين في بلاد التركستان ، وقاد عدة حملات عسكرية ضد الخطا انتهت بإزالة دولتهم ، فارتكب بذلك خطأ فادحا ، اذ اصبح وجها لوجه امام المغول ، بعد ان كان الخطا يشكون سدا منيعا بينهم وبين بلاد المسلمين .

واستمر علاء الدين في نهجه التوسعي وواصل حملاته على الاقاليم المجاورة ، واصبح الطريق امامه مفتوحا الى غزنة حاضرة الدولة الغورية ، فاستولى عليها عام 612هـ .

وهكذا بلغت الدولة الخوارزمية في عهد خوارزم شاه علاء الدين محمد اقصى درجات القوة والاتساع ، فانصرف علاء الدين محمد الى العناية بشؤون دولته ، ووجد ان اتساع رقعتها يستدعي تقسيمها الى ولايات كبيرة يتولى ادارتها اولاده على ان يكونوا مسؤولين امامه مسؤولية مباشرة فاعطى ولده الاكبر جلال الدين منكبرتي القسم الشرقي من البلاد ويضم

غزنة وباميان والغور وبست وتكياباد وزمين داور وما يليها من بلاد الهند ، اما القسم الشمالي الذي يضم خوارزم وخراسان ومازندران فكان من نصيب ابنه قطب الدين ازلاغ شاه ، واقطع القسم الغربي الذي يشمل الشمال الشرقي من العراق أي إقليم الجبال الى ولده ركن الدين. غير ان الدولة الخوارزمية لم تستطع الحفاظ على املاكها امام الاخطار الخارجية ، ولم يتمكن علاء الدين محمد من مواجهة خطر المغول الذين اجتاحتوا اقليم خوارزم في سنة 617هـ / 1220 م ، واضطر الى اللجوء الى احدى جزر بحر قزوين حيث ادركته الوفاة هناك في السنة نفسها بعد ان عهد بالحكم لولده الاكبر جلال الدين منكبرتي .

وقد اظهر جلال الدين كفاءة ومقدرة فائقة من الدفاع عن الدولة الخوارزمية في هذه المرحلة الخطيرة فبذل جهود كبيرة في قتال المغول والتصدي لزحفهم ، الا انه لم يعد يقوى على الوقوف بوجههم وانتهى المطاف بجلال الدين الى قرية من قرى مياقارقين حيث لقي مصرعه هناك سنة 628هـ ، فسقطت بذلك الدولة الخوارزمية .